مظاهر الأخلاق في القرآن والسنة
-العفو أنموذجاً-

أ.م.د زين العابدين عبد علي طاهر

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالميـــــــــن والصلاة على أبي القاسم محمد المصطفى(صل الله عليه وآله) ، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين أوتاد الأرض ، وعلى صحابته المنتجبين السائرين على هديه أجمعين .

البحث في ظاهرة العفو بحث كبير ومتشعب ويحمل من التفاصيل وله أهمية بالغة في معرفة هذه المفردة ومدى تأثير موضوعها في إطار المجتمع الإنساني .

لأنه يمثل اسمى معاني حسن الخلق ، وحسن الخلق هي الصفة التي إمتاز بها سيد المرسلين محمد المصطفى(صل الله عليه وآله) ، وافضل اعمال الصادقين ، وثمرة جهاد المتقين.

ويحتاج كل مسلم إلى تهذيب الأخلاق وبانئها بما يلائم الفطرة السليمة لديه والتي اودعها الله تعالى فيه ، ويحتاج أيضاً الى رياضة والنفس التي بين جنبيه ، وبناء القيم العليا بناءاً قائما على داعامات الصدق والوفاء والمحبة والامان ، وقد اوصى الله تعالى في كتابه الكريم الى القيمة العظمى للنفس افنسانة وضرورة تزكيتها والعمل على طهارتها ، وغشباعها بفضائل الخير ، قال تعالى :((قد افلح من زكاها))

والعفو من الصفات والخصائص الحسنة التي اكدت عليها الشرائع السماوية وخصوصاً الشريعة الخاتمة ، وبما جاء التاكيد على هذه الفضيلة المباركة من خلال التراث الإسلامي الذي ورد عن نبينا الأكرم (صل الله عليه وآله) وعن اهل بيته وصحابته الكرام .

فالعفو يورث في النفس الانسانية مكامن التقى و مقرعة الشيطان ومكائده ومحاربة ما يرمي إليه من بغي وعدوان ، وحسد وكراهية وبغضاء.

ولذا أنارت افعال الخير ومنها العفو حياة المجتمع الإيماني في صدر الإسلام والتي اتت نتائجها في ما بعد مطهرة للنفوس وغارسة فيها حب الآخر لتسود اجواء الرحمة والمحبة بين بني البشر.

لذا دون البحث في ثلاثة مباحث :

تناولت في المبحث الأول ،(العفو في القرآن الكريم) ، وفي المبحث الثاني ، (العفو في السنة النبوية الشريفة) ، وتناولت في المبحث الثالث ، (العفو وآثاره في المجتمع الإنساني) ، ثم خلص البحث إلى خاتمة ونتائج .

الباحث

المبحث الأول :

العفو في القرآن الكريم

وفيه مطالب :

المطلب الأول : العفو في اللغة

المطلب الثاني : العفو في الإصطلاح

المطلب الثالث: العفو عند العرب قبل ظهور الإسلام

المطلب الرابع: العفو في القرآن الكريم

المطلب الأول: العفو في اللغة:

قال ابن منظور:(العَفُوُّ وهو فَعُولٌ من العَفْوِ وهو التَّجاوُزُ عن الذنب وتَرْكُ العِقابِ عليه وأَصلُه المَحْوُ والطَّمْس وهو من أَبْنِية المُبالَغةِ يقال عَفَا يَعْفُو عَفْواً فهو عافٍ وعَفُوٌّ قال الليث العَفْوُ عَفْوُ اللهِ عز وجل عن خَلْقِه والله تعالى العَفُوُّ الغَفُور وكلُّ من اسْتحقَّ عُقُوبةً فَتَرَكْتَها فقد عَفَوْتَ عنه)[1]

وقال إبن دريد : (العَفْو: ضدّ العقوبة؛ عفا يعفو عَفْواً فهو عَفُوّ عنه، في وزن فَعول بمعنى فاعل. وفي التنزيل: " لَعَفُوٌّ غفورٌ)[2]

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[3]

وفي لسان العرب: (فقول ابن عباس العَفْوُ أَن تُقْبَل الديَة في العَمْد الأَصلُ فيه أَنَّ العَفْو في موضوع اللغة الفضلُ يقال عَفا فلان لفلان بماله إِذا أَفضَلَ له وعفَا له عَمَّا له عليه إِذا تَرَكه وليس العَفْو في قوله فمن عُفِيَ له من أَخيه عَفْواً من وليِّ الدَّمِ ولكنه عفوٌ من الله عز وجل وذلك أَنَّ سائرَ الأُمَم قبلَ هذه الأُمَّة لم يكن لهم أَخذُ الدِّية إِذا قُتِلَ قتيل فجعَله الله لهذه الأُمة عَفْواً منه وفَضْلاً مع اختيار وَليِّ الدمِ ذلك في العمْد وهو قوله عز وجل فمن عُفِيَ له من أَخيه شيءٌ فاتّباعٌ بالمعروف أَي مَن عَفا اللهُ جَلَّ اسمُه بالدّية حين أَباحَ له أَخْذَها بعدما كانت مَحْظُورةً على سائر الأُمم مع اختياره إِيَّاها على الدَّمِ فعليه اتِّباع بالمعروف أَي مطالبَة للدِّية بمعرُوف وعلى القاتل أَداءُ الديَةِ إِليه بإِحْسانٍ)[4]

وقال ابن منظور : (ورجل عَفُوٌّ عن الذَّنْبِ عافٍ وأَعْفاهُ من الأَمرِ بَرَّأَه واسْتَعْفاه طَلَب ذلك منه والاسْتِعْفاءُ أَن تَطْلُب إِلى مَنْ يُكَلِّفُكَ أَمراً أَن يُعْفِيَكَ مِنْه)[5]

المطلب الثاني: العفو في الإصطلاح :

العفو في الإصطلاح له معان عدّة ، منها .

منها : أنه من أسماء الله العفو ، قال تعالى : ((فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا)) [٦]

منها العفو عن الذنب : : أي صفح عنه ، وعفا : أي أسقط حقَّه .

ومنه قوله تعالى: ((إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى))[٧] ، وعفا القوم : أكثروا منه حتى عفوا أي كثروا ، وعفا المنزل إذا درس.

ويأتي معنى العفو كما ورد في قوله تعالى: ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))[٨] ، هنا ((خذ العفو)) يعني أعلاه قيمة ، العفو بوصفه أحد مكارم الأخلاق ، إذ جعل الله العفو بمثابة ثمن عظيم يأخذه صاحب العفو ، مقابل الإساءة المؤلمة التي يتلقاها من غيره ... كما يأخذ المحسن فضيلة العفو ويتمتع بلذة الشعور بمجد المكرمة وحلاوة الرحمة والمسامحة، وثوابه عند الله عظيم ، والعفو من الفضائل التي تقطع الشرور وهو الربح لا خسارة لفاعله .[٩]

وقيل العفو : (هو أن تستحق حقاً فتسقطه وتبرأ عنه ،من قصاص او غرامة).[١٠]

وقيل العفو :(ترك عقوبة الذنب). [١١]

المطلب الثالث : العفو عند العرب قبل ظهور الإسلام .

كان العرب يعيشون في الجاهليَّة قبائل متنابذة ، لا يعرفون القرآءة والكتابة إلاّ القليل منهم ، ولذا كانت (كل قبيلة تتعصب لأمرائها تعصباً شديداً ، فإذا جنا أحدهم جناية شركته القبيلة من مسؤولياتها) [١٢].

لكن العرب كانت لهم صفات انفردوا بها عن سواهم من الأمم ، فقد عرفوا بالشجاعة والكرم والعفو ، والكثير من الصفات التي أمر الإسلام ببعضها، ويؤيد ذلك ما قاله الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (صل الله عليه وآله) ، (إنما بعثت لاتمم حسن الأخلاق)[١٣].

لذا (من الخطأ أن تحسب أن مكة يومئذ قرية منقطعة عن العمران في صحراء موحشة لا تحس من الدنيا إلاّ الضرورات التي تمسك عليها الرمق ، كلاّ ، إنها تشبعّت حتى بطرت وتنازعت الكبرياء حتى تطاحنت عليه)[١٤].

أي أن مكة فيها قيم كثيرة اجتماعيّة أخذ الإسلام يرسي قواعدها في الأمة بحيث تكون أمة مثاليّة يتعاون أفرادها على الخير آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ، يسودهم البر والتعاطف حتى كأنهم أسرة واحدة محيت بين أفرادها كل الفوارق القبليّة والجنسيّة أيضاً فوارق الشرف والجاهليّة وسيادتها ، فالناس جميعاً سواء في الصلاة وفي جميع المناسك وفي الحقوق والواجبات، وينبغي أن يعودوا أخوة يشعر كل واحد منهم بمشاعر أخيه لابإذلاله ولمصلحة هذه الأمة كل ما يستطيع فهو يعيش بنفسه وحدها وإنما يعيش أيضاً للجماعة يفديها بروحه وبماله وبكل

ما أوتي من قوة [١٥]، فقوى فيها شحة العفو، فالعفو كالشجاعة والكرم إذ كان معروف عند العرب ومعمول به وجاء الإسلام لتعزيزه ودعمه في الحياة الإجتماعية للمسلمين.

والرأي المعروف بين الناس حتى يطيعه المتعلمة منهم ، إن العرب الجاهليين كانوا على جانب كبير من الإنحطاط الديني قبل الإسلام وإن تفكيرهم في ذلك تفكير منحط لا يتجاوز تفكير القبائل البدائية وهو رأي خاطيء يفنده القرآن الكريم ... ومن دون دراسة أديان الجاهلية ومقالاتهم في الخالق والخلق لا نتمكن أبداً من فهم رسالة الإسلام فهم صحيحاً.[١٦]

بمعنى أن العرب قبل مجيء الإسلام ،وإن لم يكونوا موحدين كانت لهم أعراف وأخلاق وصفات ، مثل الصدق والكرم والشجاعة وإقراء الضيف ،أمر الإسلام باقرارها بدليل أن من يتصف بصفات منها ويشتهر من بينهم بها، قد يختارونه زعيم لهم ،كما في تسميتهم للرسول (صل الله عليه وآله)،قبل أن يبلغ بالرسالة ونزول الوحي بأنه الصادق الأمين.

وكانوا يشترطون في اختيار زعمائهم وامرائهم مكارم الأخلاق وأن تتوافر فيه صفات محمودة كالسخاء والبيان والحلم والحنكة والشجاعة والعفو

وليس المغزى من هذه السطور أن يكون الكلام عن مكارم الأخلاق ، ويهمنا أن نوضح أن العفو كان موجوداً عند العرب، وكانوا يحمدون من يتصف به ويدعو إليه بل يعد من أبرز السمات عند العربي.

وهناك أمثلة عديدة عن حالات العفو الذي اشتهرت فيه قبل مجيء الإسلام في التأريخ العربي ، ومن أبرز هذه الأمثلة عفو الملك العربي (النعمان بن المنذر) عن الشاعر المعروف النابغة الذبياني .

نلحظ هنا أن العفو من شيم الملوك وصفاتهم فقد عرف عن النعمان عفوه للشاعر النابغة الذبياني عندما غضب عليه بسب الوشايات والمغرضين ، فاشتهر الشاعر النابغة الذبياني بقصائده الاعتذاريات الذي اعتذر فيها للملك النعمان كما سنرى في شعره ، فقد اعتذر الذبياني للنعمان عندما وشى به المنخل اليشكري، وأوغلوا قلب النعمان عليه مما اضطره الى أن يبريء نفسه من وشايتهم ، وقد عدها المفضل الضبي من المعلقات ، فقال النابغة في إحدى هذه القصائد.

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقفت فيها أصيلاناً أسائلها ... أعيت جواباً وما بالربع من أحد

ثم يقول:

أمستْ خلاء وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبدِ

فعَدِّ عَمّا ترى ، إذ لا ارتِجاعَ له و انمِ القتودَ على غيرانةٍ أجدِ

كأنّ رَحْلي، وقد زالَ النّهارُ بنا يومَ الجليلِ، على مُستأنِسٍ وحِدِ

ثم يصل الى اعتذاره من الملك بقوله:

فتلك تبلغني النعمانَ إنّ لهُ فضلاً على النّاس في الأدنَى وفي البَعَدِ
و لا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أُحاشي من الأقوام من أحَدِ
إلاّ سليمانَ إذ قالَ الإلهُ لهُ : قم في البرية فاحددها عنِ الفند
فمن أطاعكَ فانفعهُ بطاعتهِ كما أطاعكَ وادلهُ على الرشدِ[١٧]

المطلب الرابع: العفو في القرآن الكريم

إن للعفو قدراً كبيراً في كلا م الله تعالى ، وقد أمر به رسوله (صل الله عليه وآله) ، وعباده المؤمنين ليكونوا من الصالحين .

وإذ تفحصنا آيات العفو في القرآن لوجدناها إثنين وثلاثين آية في تسع سور تنقسم على محاور هي :-

أولاً : عفو الله عن خلقه

إن الله هو العفو وهو السلام وهو الغفار لعباده ونزل الآيات الكثيرات على عظيم عفوه وواسع رحمته ، لقد قال تعالى في محكم كتابه الكريم ، ((ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))[١٨] وقال تعالى : ((عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ))[١٩]

إن هاتين الآيتين توصيان بأن عفو الله جاء بعد غضبه تعالى ، الذي رفع بفضل هذا العفو الذي تعد عنه صفته (ثم عفونا)،و(عما سلف)، وهناك عفو خاص منه تعالى لرسوله(صل الله عليه وآله) ، كقوله تعالى: ((عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ))[٢٠]، أو قد يكون العفو بطلب من رسول الله (صل الله عليه وآله)، كقوله تعالى : ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))[٢١]

وآيات أخرى تبين أن العفو من الله ، كقوله تعالى : ((وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ))[٢٢].

وقوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا))[٢٣].

يتضح من خلال الآيات المباركات ، أن الله سبحانه يعفو عن من يشاء ، ويعذب من يشاء ، لأن العفو بيده وحده ، قال تعالى ((لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ))[٢٤].

ثانياً : العفو عند سائر الناس

بعد بيان العفو عند الله تعالى، نقف على بعض الآيات المباركات التي طلب فيها الله تعالى من الناس أن يعفوا ويصفحوا فإن ذلك من مكارم الأخلاق ، ومن صفات أولياء الله تعالى.

الأول : الطلب من الرسول(صل الله عليه وآله) ، بالرحمة والعفو والصفح الجميل، قال تعالى ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))[٢٥]، وقال تعالى : ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))[٢٦].

هنا يوجه سبحانه وتعالى رسوله المصطفى (ص)، التحلي بالظواهر الثلاث التي مرّ ذكرها في الآية الكريمة .

كما خاطب الباري تعالى رسوله الكرم (صل الله عليه وآله)، بقوله : ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))[٢٧]

الثاني : ومن الآيات التي تطلب من الناس أن يعفوا ويصفحوا عن الآخرين قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[٢٨].

وقوله تعالى : ((وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ))[٢٩] . وقوله تعالى : ((وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى))[٣٠]. وقوله تعالى : ((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))[٣١] .

إن هذه الجولة الممتعة من كلام الله تعالى ترينا إن العفو من صفات الله تعالى، وقد جعل العفو من أسمائه الحسنى ، وقد دعا رسوله الكريم (صل الله عليه وآله) العفو عن الناس والصفح لهم وطلب من عباده أن يكونوا من العافين ، فالعفو عند الله صفة ورحمة ، فطوبى لمن استجاب لدعوة الله تعالى ، واتصف بما كان يتصف به الله سبحانه ورسوله حتى يكونوا من المحسنين.

لو وقفنا عند بعض هذه الآيات الكريمات، سنجد دلالات وعبر عظيمة ، كما لو تأملنا في قوله تعالى: ((فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا))[٣٢]، نرى أن الآية تضمنت لفظة(عفوا)، وهي صيغة

مبالغة تدل على كثرة العفو عند الله تعالى ، فلم يكن جل شأنه مجرد (عاف) عن الناس أو أنه يعفو فقط وإنما كان عفواً كثير العفو،ويكفي هذا التركيب دلالة على عظمة عفو الله تعالى ولكن يبقى هذا العفو نعمة تستحق الشكر، كما في قوله تعالى: ((ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))[٣٣].

تبين لنا أن الله تعالى يطلب من العباد أن يشكروه على عفوه ، غير أن الإنسان كان ظلوماً جهولا، إذ عبرة الآية بالقول (لعل) أي ربما ، فهو أمر قد يحصل وقد لايحصل من الإنسان الذي ظلم نفسه وجحد أنعم الله تعالى عليه .

وبالعفو تميز الإسلام عما سواه من الأديان والعقائد، فحين يأمر الناس بالعفو إنما يجعل فعله واجباً عليهم وبه يعبر المؤمن عن إيمانه ، وخير للمجتمع الإنساني أن تقوم الأخلاق والفضائل فيه على هذا الأساس الراسخ ، لا أن تقوم منفعة بفساد المجتمع وغيرها مما يضر ولا ينفع من أجل كل ذلك ربط الله الإسلام بالعفو وأمر به حتى رسوله المصطفى (صل الله عليه وآله) ، وما كانت أوامر الله جل وعلا بالعفو لعباً ولا هزواً وإنما لتكون أساساً وقاعدة للمجتمع ، قال تعالى : ((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))[٣٤]،

فأصبح العفو بذلك منهج سلوك للمسلمين جميعاً طالما فعله الله ورسوله فيكون هذا الفعل من أفضل الأعمال التي فعلها الناس ، وفي الآية الآتية الكريمة قوله تعالى : ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))[٣٥].

نجد هنا (مصلحة كبرى للمسلمين حيث لايمكن أن يفلت أحد من هذا الواجب ولا ان يشيع في المجتمع تواكل فيه قد ينتهي الى إهماله من قبل المجتمع ووقوع الجميع في الإثم الديني والضرر المادي والمعنوي ، ولكل مجال في هذا الميدان ، ولكل ساع من سعيه فيه نصيب بطبيعة الحال .)[٣٦]

وقد يعد العفو من الواجبات الشرعيّة في الإسلام التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون ، فقوله تعالى : ((وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ))[٣٧]، الذي يصف به المتقين الصالحين ، (فالغيض إنفعال بشري تصاحبه او تلاحقه فورة في الدم ، فهو إحدى دفعات التكوين البشري وإحدى ضروراته وما يغلب الإنسان إلا بتلك الشفافيّة اللطيفة المنبعثة من إشراق التقوى وإلا بتلك القوى الروحية المنبعثة من التطلع إلى أفق أعلى واسع من آفاق الذات والضرورات)[٣٨]، وكظم الغيض هو المرحلة الأولى وهي وحدها لا تكفي ، فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضطغن فيتحول الغيض الفائر إلى أحنة غائرة ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين ، وإن الغيض والغضب لأنظف وأطهر من الحقد والضغن ، لذلك يستمر النص ليقرر النهاية الطليقة لذلك الغيض الكظيم في نفوس المتقين ، إنها السماحة والعفو والإنطلاق.[٣٩]

من هنا نصل الى أن العفو والحلم دليل على الكمال والرشد واكتمال العقل وثمرة من ثمرات التدين الصحيح ، والعفو من الصفات التي لا يستغني عنها الإنسان الذي يعيش في مجتمع تتصارع فيه الأهواء وتتضارب فيه الآراء وتختلف فيه وجهات النظر .

المبحث الثاني :

العفو في السنة النبويّة الشريفة

وفيه مطالب :

المطلب الأول : أحاديث العفو في السنة النبويّة .

المطلب الثاني: أبرز من عفا عنهم الرسول (صل الله عليه وآله)

المطلب الثالث: العفو عند آل البيت(ع)

المطلب الرابع: العفو عند الصحابة

التمهيد:

خاطب الله (جل شأنه) نبيه (صل الله عليه وآله) ، بقوله : ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))[٤٠]، ووصفه بقوله : ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ))[٤١] ، كمانه تعالى أمر نبيّه بأن يكون سهلاّ متسامحاّ لئلا ينفض الناس من حوله ، قال تعالى : ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ))[٤٢]، فالعفو والتسامح إذاً من الصفات الواضحة والجليلة في خلق الرسول العربي (صل الله عليه وآله) ، فلا بد أن تكون حياته ، مليئة بالمكارم والتسامح والعفو مع المسلمين غير المسلمين على حد سواء فأصبحت حياته (صل الله عليه وآله) ، سجلاّ يفيض رحمة وعطاءّ وخلقاّ ، وتجلى هذا الأمر في تطبيقاته العلميّة في حياته مع صحابته عموم المسلمين بل إنه كان عفواّ متسامحاّ حتى مع أعدائه كما سيتبّن لنا هذا من استعراض الأحاديث النبويّة الشريفة في هذا المضمار .

جاء في سنن أبي داوود أن ما حلله رسول الله (صل الله عليه وآله) ، فهو حلال وما حرّمه فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو ، وتلا رسول الله (صل الله عليه وآله)،(لأجد في ما أوحي إليّ محرماّ)[٤٣].

إن هذا الحديث يوضح لنا أن رسول الله (صل الله عليه وآله) ، فتح لنا باباّ من أبواب رحمة الله تعالى ، إذ وسّع للناس مساحة الحلال وضيّق مساحة الحرام ، قال (صل الله عليه وآله) ، فيما يرويه الترمذي مانقل عن أم المؤمنين عائشة ، إنها قالت : قال رسول الله (صل الله عليه وآله) ، (إدرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام إن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة .)[٤٤]. في هذا الحديث بيان للدلالة على توسعة رحمة الله بعباده ، والأخذ بالعفو قدر المستطاع ، طالما كان غيه تخفيف على العباد ورفع المشقة عنهم ، وقال عزوجل في محكم كتابه العزيز ، ((وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا))[٤٥].

المطلب الأول : أحاديث العفو في السنّة النبويّة الشريفة :

لم يترك نبي الرحمة مجالاً في حياة الناس من دون أن يترك أثراً من آثار رحمته ونصحه وإرشاده للفوز بحياة حرة كريمة ، فكيف إذا تعلق الأمر بعنوان عريض شامل كموضوع العفو ؟

لابد أن يكون الأثر أكبر كما ونوعا ، لأن العفو مرتبط بالرحمة ، وما كان النبي محمد(صل الله عليه وآله) إلا رحمة للعالمين كما جاء في قوله تعالى((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ))[٤٦] وكان الأمر الإلهي صريحا بأخذ جانب العفو واللين والرحمة ، جاء في صحيح البخاري ما عن عبد الله بن الزبير ،(أن الله أمر نبيه (صل الله عليه وآله) ، أن يأخذ العفو في أخلاق الناس)[٤٧] ، وهذا مأخذه من قوله تعالى ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))[٤٨].

وقد يكون العفو بمعنى السماح والمسموح به ، كما في حديث الرسول الأكرم (صل الله عليه وآله)، عن ابن عباس (رض) أنه قال: (كان أهل الجاهلية يأكلون شيئاً ويتركون أشياء تقذراً ، فبعث الله نبيّه (صل الله عليه وآله) ، وأنزل كتابه عنهم ، فلا غرابة في ذلك، لأن الله تعالى له أسم من أسمائه مأخوذ من العفو ، وهو (العفو))[٤٩].

وفي حديث آخر عن العباس أنه قال: (أتيت رسول الله (صل الله عليه وآله)،فقلت يا رسول الله علمني شيئاً أدعو به فقال: سل العفو والعافية ، قال ثم أتيته مرة أخرى فقلت: يارسول الله ، علمني شيئاً أدعوبه ، فقال لي: يا عباس ياعم رسول الله، سل الله العافية في الدنيا والآخرة)[٥٠].

دعا رسول الله (صل الله عليه وآله) ،الى أن يعطيه الله تعالى العفو والعافية فقال : (اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي ، وأهلي ومالي اللهم، استر عوراتي وآمن روعاتي...)[٥١]

وفي أحاديث أخرى يوم الفتح ودخول جيوش المسلمين إلى مكة أعلن الرسول الأكرم (صل الله عليه وآله) ، الأمان لمن دخل دار أبي سفيان ولمن أغلق باب بيته ولم يخرج للقتال ، ونال بذلك أهل مكة عفوا عاما على الرغم من أنواع الأذى التي ألحقوها بالرسول (صل الله عليه وآله) ، ودعوته الشريفة فقال : (ما تضنون أني فاعل بكم ؟ ، فقالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال (صل الله عليه وآله) : (إذهبوا فأنتم الطلقاء)[٥٢] .

وهناك أحاديث في العفو عن الزلاّت والهفوات ، فإذا تغير أخوك فلا تدعه من أجل ذلك التغيير، وإنما يحسن بك أن لا تهجره عند الذنب ، فقد يتركه غداً والأفضل أن تصله و تنصحه ولا تحدِّث الناس بزلّتِهِ ولهذا تكون عوناً له ... قال (صل الله عليه وآله)، (لا يستر عبداً عبداً في الدنيا إلاّ ستره الله يوم القيامة)[٥٣].

كل ما تقدّم من أحاديث شريفة هي غيض من فيض أحاديث رسول الله (صل الله عليه وآله) ، وهذا شيء من ظله الوارف ورحمته التي هي رحمة الله تعالى .

لذا يقول (صل الله عليه وآله) : (امتحنوا أنفسكم بمكارم الأخلاق ، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله، وإلا تكن فيكم فاسألوا الله ، ورغبوا اليه فيها) ثم أنه (صل الله عليه وآله) حينما سُئِل عن مكارم الأخلاق قال : (العفو عمن ظلمك وصلة من قطعك وإعطاء من حرمك ، وقول الحق ولو على نفسك)[٥٤].

وهذا خير مسك لخير ختام من أقوال الرسول الأكرم (صل الله عليه وآله).

المطلب الثاني: أبرز من عفا عنهم الرسول الأكرم (صل الله عليه وآله)

إنّ الإحسان والعفو عند المقدرة ، من الخلق الإسلامي الرفيع، إذ إن الإسلام لم يترك مزيّة حسنة يمكن أن يتصف بها الإنسان إلا أتى بها .والعفو عند المقدرة أعظم منّة يمنُّ بها صاحب القدرة على المعفو عنه ، فصنع الجميل والخلق الطيب والتخلق بالأخلاق الفاضلة ، كل هذه الأمور وما شاكلها تجعل من الإنسان إنساناً كاملاً حاز رضا الله سبحانه ، ولرسول الله (صل الله عليه وآله) ، نماذج كثيرة في عمل العفو في حياته المباركة ، ولهذا كان(صل الله عليه وآله) ، كثيراً ما يوصي أصحابه العمل بالعفو والحث عليه ، يقول معاذ بن جبل : لما بعثني رسول الله(صل الله عليه وآله) ، الى اليمن قال لي : (يا معاذ مازال جبريل يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت أنه يوصيني بترك الحدود)[٥٥]

أولاً : عفو النبي الأعظم(صل الله عليه وآله) ، يوم الفتح ،(عن محمد بن إسحاق قال حدثني حسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ياصباح قريش والله لئن بغتها رسول الله في بلادها فدخل مكة عنوة إنه لهلاك قريش آخر الدهر فجلس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وقال اخرج إلى الأراك لعلى أرى حطابا أوصاحب لبن أوداخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه فخرجت فو الله إني لأطوف في الأراك ألتمس ماخرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان بن حرب بن وحكيم حزام وبديل بن ورقاء وقد خرجوا يتحسسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت أبا سفيان وهو يقول والله مارأيت كاليوم قط نيرانا فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال أبوسفيان خزاعة ألئم من ذلك وأذل فعرفت صوته فقلت ياأبا حنظلة فقال أبو الفضل فقلتة نعم فقال لبيك فداك أبي وأمي فما وراءك فقلت هذا رسول الله ورائي قد دلف إليكم بما لاقبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال فما تأمرني فقلت تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفنى فخرجت به تركض بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأنِ لك أنْ تعلم أنْ لاإله إلا اللّه؟ ! قال : بلى بأبي أنت وأمي يارسول اللّه لوكان مع اللهّ غيره لقد أغنى [عني] شيئاً . فقال : ألم يأن لك [أنْتعلم] أني رسول اللّه؟ ! فقال : بأبي أنت وأمي أمّا هذه ففي النفس منها شيء، قال العباس : فقلت له : ويحك اشهد شهادة الحق قبل واللّه أنْ تُضْرَبَ عنقك . قال : فَتَشهَد)[٥٦]

وعفا رسول الله (صل الله عليه وآله) ، عن أهل مكة عندما دخلها (وفي سنة ثمان كان افتتاح النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وقدتة نازع الناس في فتحها ،أصلحاً كان أم عَنْوَةً ؟وفيها كُسِّرَتْ الأصنام، وهدمت العُزَّى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم :« يامعشر قريش، ماترون أني فاعل بكم؟ » قالوا : خيراً أخ كريم ،وابن أخ كريم ،قال : « اذْهَبُوا فأنتم الطُّلَقَاء »)[٥٧].

ثانياً : عفوه (صل الله عليه وآله) ، عن الشاعر كعب بن زهير بن أبي سلمى: وكان هذا الشاعر قد هجا رسول الله (صل الله عليه وآله) ، وهرب فاستؤمن له فأمنه ، فمدحه بقصيدته المشهورة ،البردة ، التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ..... متيم اثرها لم يفد مكبـولُ

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ..... إلاّ أظن غضيض الطرف مكحول

الى أن قال :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته..... يوماً على آلة الحدباء محمول

أنبئت أن رسول الله أوعدنـي..... والعفو عند رسول الله مأمـول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةً.....القرآن فيـها مواعيظ وتفصيل

وعندما وصل الشاعر الى قوله :

أنبئت أن رسول الله أوعدني ..... والعفو عند رسول الله مأمـول

خلع الرسو الكريم (صل الله عليه وآله) ، بردته ورماها على الشاعر معبراً عن عفوه عنه بعد أن كان دمه مهدوراً.

ثالثاً : عفوه (صل الله عليه وآله) ، عن عبد الله بن الزبعرى .

أسلم عبد الله بن الزبعرى عام الفتح وحسن اسلامه وكان ممن يؤذي رسول الله (صل الله عليه وآله) ، أشد الأذى في الجاهليّة ، فهو الذي انكر الوحي ونزوله بقوله :

لعبت هاشم بالملك فلا..... خبر جاء ولا وحي نزل

فأسلم واعتذر إلى رسول الله (صل الله عليه وآله) ، فقبل عذره ،ثم أخذ يمدح النبي ، فقال مادحاً :

صنع الرقاد بلابلاً وهموما ..... والليل معتلجُ الرواق بهيمُ

مما أتاني أن أحمد لامني ..... فيه حييت كأنني محموم

يا خير من حملت على أوصالها..... غ ير أنه سرح اليدين غشوم

أيام تأمرني بأغوى خطة ..... سهم وتأمرني بها مخزوم

الى أن مضى يقول :

فاغفر فدى لله والدين كلاهما..... وارحم فأنك راحم مرحوم

وعليك من سمة المليك علامة..... نور أغر وخاتم مختوم

أعطاك بعد محبـة برهانـه .....شرفاً وبرهان الأله عظيم

وهناك الكثير ممن عفا عنهم الرسول (صل الله عليه وآله) ، وهم،

مهيار بن الأسود الذي روّع زينب ربيبة رسول الله (صل الله عليه وآله) ، والحارث بن هشام أخو أبي جهل لأبويه ، وزهير بن أميَّة ، صفوان بن أميّة .[٥٨]هؤلاء جميعاً عفا عنهم الرسول (صل الله عليه وآله) ، وأسلموا فيما بعد ، وكان باستطاعته بعد تغلبه عليهم ،أن يفتك بهم كما يصنع الفاتحون ، لكن أخلاق النبي الأكرم (صل الله عليه وآله) ، أبت عليه ذلك ، لأنه أرسل رحمة للعالمين .

وقد عفا عنهم على الرغم من أنه (صل الله عليه وآله) ، نال منهم شتى ألوان المتاعب ، ولاقى أصحابه شتى أنواع العذاب ، فطوبى لمن أنار الله تعالى قلبه بالإيمان واتبع سنة رسول الرحمن .

المطلب الثالث : العفو عند آل البيت (عليهم السلام)

لآل البيت (عليهم السلام) مساحة واسعة من العفو مع أبناء المجتمع الإسلامي ضبطها أصحاب الحديث والسير ،والمتتبع لعظمة ما امتاز به اهل البيت من سجايا حميدة واخلاق فاضلة لوجد ان لكل فرد منهم مساحته في هذا افطار ، واختصاراً للبحث نورد هنا نماذج بسيطة لهم في كيفية استعمال صفة العفو وطرحها كفضيلة خلقية إمتازوا بها (عليهم السلام).

أولا: عفو الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام):

بعدما انتصر الإمام علي بن ابي طالب في معركة الجمل واستولى عليه ،جاء الإمام (عليه السلام) وقرع الهودج برمحه وقال يا حميراء : بهذا أوصاك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟

فقالت : يا ابن أبي طالب ملكت فاصفح ، وظفرت فاسجع .

فقال الإمام (عليه السلام) : والله ما أدري متى أشفي غيظي ؟

أحين أقدر على الانتقام يقال لي لو غفرت ؟ أم حين أعجز من الانتقام فيقال لي : لوصبرت بلى أصبر ، فإن لكل شئ زكاة ، وزكاة القدرة والمكنة العفو والصفح ، ثم

التفت (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر وقال : شأنك بأختك فلا يدن منها أحد سواك ، وأمر الإمام فاحتملت عائشة بهودجها إلى دار عبد الله بن خلف في البصرة.[٥٩]

وكذا من عفوه (عليه السلام) عن اشد مناوئيه وألد أعداءه ، ما يرويه بن ابي الحديد المعتزلي :

قال ابن أبي الحديد : (وأما الحلم والصفح ، فكان أحلم الناس عن مذنب وأصفحهم عن مسئ ، وقد ظهرت صحة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم – وكان أعدى الناس له وأشدهم بغضا – فصفح عنه ، وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة فقال : قد أتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب ، وكان علي عليه السلام يقول : ما زال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى شب عبد الله ، فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيرا ، فصفح عنه ، وقال : (اذهب ولا أرينك) لم يزده على ذلك ، وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة – وكان له عدوا – فأعرض عنه ولم يقل شيئا . . .[٦٠]

ثانياً : عفو الإمام زين العابدين (عليه السلام):

كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يسير بسيرة جده رسول الله وامير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليهم السلام) في دماثة الخلق ومكارمه والتي منها صفة العفو،وضر هذا واضحا وجلياً حتى من اضطهده ونال منه في فترة خلافته ،

مايرويه وقد كان علي بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشام آوى إليه ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان بن عفان وقد كان مروان بن الحكم لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية من المدينة كلم عبد الله بن عمر أن يغيب أهله عنده فابى ابن عمران يفعل وكلم مروان علي بن الحسين وقال يا أبا الحسن إن لي رحما وحرمي تكون مع حرمك قال افعل فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع ثم إن عائشة بنت عثمان زوجة مروان خرجت إلى الطائف فمرت بعلي بن الحسين وهو بمال له إلى جنب المدينة

قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيئا من أمرهم فأرسل زين العابدين ولده عبد الله معها إلى الطائف محافظة عليها فبقي معها حتى انتهت الوقعة فشكر له مروان ذلك اه وهذا منتهى مكارم الأخلاق والمجازاة على الإساءة بالاحسان ولا عجب إذا جاء الشئ من معدنه :

– ملكنا فكان العفو منا سجية * فلما ملكتم سال بالدم أبطح –

– وحسبكم هذا التفاوت بيننا * وكل إناء بالذي فيه ينضج – [٦١]

المطلب الرابع: العفو عند صحابة الرسول (صل الله عليه وآله) :

لم يغب عن سمات التأريخ ما دونه على صفحات من نور تحكي لنا قصصاً عن عفو الصحابة رضوان الله تعالى عنهم ، وتسامحهم وأنهم تعلموا هذه الخصال الحميدة من المدرسة النبويّة_الأسوة الحسنة – وفيما يلي نماذج من تلك الأحداث الطيبة المباركة:–

أولاً : عفو الخليفة أبي بكر الصديق(ر.ض) :

عفا الخليفة ابو بكر الصديق (رض) عن بعض من الذين إرتدوا بعد وفاة الرسول (صل الله عليه وآله) إن الخليفة الصديق خاض حربا شعواء ضد أولئك ،وسميَة هذه الحروب بحروب الردة . والذين عادوا الى رشدهم عفا الخليفة عنهم وقبل توبتهم.[٦٢]

ثانياً : عفو الخليفة عمر بن الخطاب (رض) :

عفا الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، عن الشاعر الحطيئة، وعرف عن هذا الشاعر سلاطة اللسان، وبكثرة الهجاء لأبويه وحتى لنفسه ، فحدث ذات يوم أن يزور (الزبرقان بن بدر) وهو رجل كريم ذو منزلة رفيعة بين قومه وأهله وعشيرته ، فقال الحطيئة قصيدة ، من أبياتها :

دع المكارم لاترحل لبغيتها

واقعد فإنك الطاعم الكاسي

فشكاه الزبرقان الى الخليفة عمر بن الخطاب ، فما كان من الخليفة إلا سجنه وهدد بقطع لسانه، فساء ذلك الحطيئة فخاطبه بقصيدة طويلة جاء فيها :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ .....زغب الحواصل لا ماء ولاشجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة..... فاغفر عليك سلام الله ياعمر

فرق قلب الخليفة لحال أطفاله وعفا عنه بشرط أن لايعود الى الهجاء مرة أخرى[٦٣]

المبحث الثالث : أثر العفو في المجتمع الإسلامي :

الأخلاق في الدين ليست مجرد تعامل مع الآخر بأدب، وليست صيغاً من الإرتباطات مع الإخوان والمقربين ،إنما هي سلوك مصحوب بنية يتجسد فيه الإيمان بالله تعالى والإقتداء بسيرة الأنبياء والأولياء (عليهم

السلام) ،ولايخفى على أحد ما للعفو والسماح من آثار في حياة الفرد والمجتمع، والإنسانية، لأنها من عظائم أفعال الخير ، فلا بد أن تكون لها تأثيرات خطيرة وعظيمة الشأن.

إن العفو كما- مر بنا- من خصال نبي الرحمة والإنسانية محمد بن عبد الله(صل الله عليه وآله)، وعلى المسلمين أن يتبعوا ويسيروا على نهجه(صل الله عليه وآله) ، قال تعالى ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا))[٦٤]

إذن العفو والإحسان ضرورة لإقامة مجتمع فاضل سعيد، ينعم أفراده بالطمأنية والسعادة والأمان ، إن البشرية لم تنزل بها الكوارث المفجعة والويلات والحروب إلا عند غياب ذلك الإستحضار لمقام الخالق واستشعار جلاله والمتمثل بغياب العفو والصفح والأمان، (أنه أشد العيب أن ترى فقر المقام الإلهي، ثم نحن لانقيم له وزناً في التعامل الواقعي يبلغ ما نقيمه لأدنى حكام الأرض وليس أمامنا من سبيل يعصمنا من ذلك الهبوط سوى الإحسان وبأعمق حالاته قدر اجتهادنا)[٦٥]

ثم ان للعفو آثاراً لاتعد ولاتحصى سنحاول الوقوف على أبرزها.

اولها : الرحمة ورقة القلب: ما أكد عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من فضيلة الرحمة الرحمة ونشرها بين الناس، فقد أصى الله نبيه بالرحمة ، قال تعالى : ((فبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ)) [٦٦]

والفظ هو القاسي القلب ،وغلظة القلب كناية عن عدم الرقة وعدم الرأفة ، اما الإنفضاض فهو التفرق ،وقد ذكرت لنا السير ان رسول الله (صل الله عليه وآله) كان يحظى بمحبة عجيبة من قبل أصحابه ،وإعجاب وإجلال من قبل اعدائه ،وتواصل العفو بين الناس يورث الرحمة ويوسع مداها ويشعر الناس بالأمان وفعل الخير ، فيسعد الناس وتطمئن قلوبهم ، ويتسابقون في فعل الخيرات، وتعم بينهم البركة والرحمة .

ثانيها : حسن الخلق :- إن الحسن الخلق صفة سيد المرسلين وأفضل اعمال الصادقين وثمرة جهاد المتقين ، ويحتاج كل مسلم الى تهذيب الأخلاق ورياضة النفس والقيم العليا يقول تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)) [٦٧]

فالنفس البشرية تضمنت واحتوت صفات الخير والشر ، وفعل الخير يمكن الوصول اليه من اوسع الطرق وأيسرها ألا وهو العفو والإحسان للناس ، فمن العفة يصدر السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والمساعدة وكلها من مكارم الأخلاق[٦٨]

وقد وصف الله تعالى أصحاب الأخلاق الحسنة وجعل العفو والمسامحة من أهم خصائلهم، قال تعالى : ((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا))[٦٩]

جاء في تفسير هذه الآية أن العفو والإحسان من أبرز سمات عباد

قال تعالى مبينا لرسول الرحمة (صل الله عليه وآله) ، مكارم الأخلاق: ((فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))،[٧٠]

إن العفو والصفح من سمات المحسنين والصالحين والصادقين ، وهل هنالك ارفع من هذا الوصف لعباد الله والمحسنين من عباده ؟.

ثالثاً : الزهد والتقوى :- الأصل في خلق الإنسان أن يعبد الله ثم يعمل ليعمر الأرض ويبدع في مسعاه ويقيم العدل ، وهذه تعد جزءاً من العبادة وان لايكون قانطاً في مسعاه ويعدل ويعفو ويحسن الى الناس.

رابعاً : الورع : الورع هو ترك الشبهات واجتنابها خوفاً من الوقوع في المحرمات، وأعرف الناس بهذا الأمر هم العافون والمتسامحون ، فهم حين يعفون ويحسنون إنما فعلوا ذلك خوفاً من الله وخشيته ، فالورع يأتي من ضبط النفس ومحاربة هواها.

خامساً : سلامة القلب: إن خير الناس منوط بسيادة روح المحبة ،وتوثيق عرى المودة بينهم فإذا فقدوا هذه الروح ، أو وهنت هذه العرى ، تعرضوا للبأساء والضراء وزلزلوا زلزالاً شديدا، ولذا عمل الإسلام على حياطتهم وصياغتهم وتربيتهم تربية من شأنها أن تبقي فضائل الإنسان وتنفي عنها رذائل الصفات .

فالعفو يورث في النفس التقى ومحاربة الإثم والبغي والغل والحسد.ولقد أنارت أفعال الخير ومنها العفو حياة المجتمع الإيماني في صدر الإسلام وأثمرت ثمارها وآتت أوكلها وطاردت ظلام النفوس وتسود أجواء الرحمة بين الناس فيذهب من الحياة كل ما يعرقل مسيرتها وينعم الأفراد والجماعات بحياة هادئة تقوم على أسس صحيحة.

الخاتمة ونتائج البحث:

خلص البحث الى نتائج مثمرة منها :

١- إن العرب أمة أخلاق وصفات حميدة عدَّة ، من أبرزها العفو والدليل أنهم أمة أخلاق الرسول(صل الله عليه وآله) ، (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

٢- إن مفردة العفو لها معان واصطلاحات عدة توسعت بعد مجيء الإسلام .

٣- تدوين التأريخ لعديد من يقصص العفو عند العرب.

٤- إن العفو شغل مساحة كبيرة في كتاب الله الكريم ، ويدل هذا على أهمية العفو في الإسلام.

٥- ضلوع السنة المطهرة في مفردة العفو لذا أعطتها مساحة واسعة .

٦- عفو الرسول الكريم(صل الله عليه وآله)عن كثير ممن سولت لهم نفوسهم بالخروج عن طاعته.

٧- تأثر الصحابة بأخلاق الرسول (صل الله عليه وآله) فكانوا أهلاً للعفو والصفح لأنهم خريجو المدرسة المحمدية.

الهوامش

١- النساء / ٩٩

٢- ظ : لسان العرب ، مادة / عفا

٣- جمهرة اللغة :، مادة ، ع. ق . ل : ٢ / ٢٦

٤- النساء / ١٧٨

٥- ابن منظور ، مادة ، عفا : ١٥ / ٧٢

٦- لسان العرب ، مادة ، عفا : ١٧٥ / ٢٧

٧- البقرة / ١٣٧

٨- الأعراف / ١٩٩

٩- ظ: عبد الرحمن حسن الميداني ، الأخلاق الإسلاميَّة وأ سسها : ٤٦٠ - ٤٦١

١٠- المحجة البيضاء، باب فضيلة العفو :٠: ٣١٨

١١- النراقي ،جامع السعادات ،باب العفو : ١: ٣٠١

١٢- د. شوقي ضيف ، العصر الإسلامي : ٤٧

١٣- ظ : محمد الري شهري ، ميزان الحكمة : ٤ / ٣٣٣

١٤ -محمد الغزالي ، فقه السيرة : ٢٠

١٥[1] - ظ: العصر الإسلامي / ١٩

١٦- د جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ ٣٠

١٧- الديوان / ١٩ - ٣٢

١٨- البقرة / ٥٢

١٩- المائدة / ٩٥

٢٠- التوبة / ٤٣

٢١- آل عمران / ١٥٩

٢٢ - الشورى / ٣٠

٢٣- النساء / ٤٣

٢٤- التوبة / ٦٦

٢٥- آل عمران / ١٥٩

٢٦- الأعراف / ١٩٩

٢٧- المائدة / ١٣

٢٨- البقرة / ١٧٨

٢٩- البقرة / ٢١٩

٣٠- البقرة / ٢

٣١-آ ل عمران / ١٣٤

٣٢- النساء / ٩٩

٣٣- البقرة / ٥٢

٣٤- الدخان / ٣٨ - ٣٩

٣٥- الأعراف / ١٩٩

٣٦- محمد عزة دروزة ، الدستور القرآني والسنة النبويّة في شؤون الحياة / ٩

٣٧- آل عمران / ١٣٤

٣٨- سيد قطب ،في ظلال القرآن : ٧٧/٣

٣٩- ظ : سيد قطب في ظلال القرآن : ٣ / ٧٧

٤٠- الأعراف / ١٩٩

٤١- القلم / ٤

٤٢- آل عمران ، ١٥٩

٤٣- سنن أبي داود : ح ٣٨٠٠

٤٤- سنن الترمذي : ٤ / ب العفو / ح١٤٢٥

٤٥- النساء / ١١٠

٤٦- الأنبياء / ١٠٧

٤٧- عبد الله بن اسماعيل البخاري / كتاب العفو ،ح ٤٥٢٦

٤٨- الأعراف / ١٩٩

٤٩- الترمذي ، سنن الترمذي: ٦ / ٣٦٤٥

٥٠- الإمام أمد ، مسند أحمد : كتاب العفو / ح ٧٩٤

٥١- المصدر نفسه / ح ٤٧٧٩

٥٢- يوسف / ٢٩

٥٣- نزار عبد الجبار عبد المجيد : الفضائل ولأخلاق / ١١٥

٥٤- الشيخ الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة / ح ١١١٨

٥٥- الإمام الغزالي : إحياء علوم الدين : ٣ / ١٢٧

٥٦- الطبري : تأريخ الطبري : ٣ / ٥٣

٥٧- المسعودي ، مروج الذهب : ٢ / ٢٩٠

٥٨- ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣ / ٢٥٦

٥٩- حسين الشاكري، الأعلام من الصحابة ١/ ١٠١

٦٠- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ١/ ١٢٢

٦١- السيد محسن المين ، اعيان الشيعة ١/ ٦٢٦

٦٢- تاريخ الطبري ٣: ٣٢١.

٦٣- ظ :ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ٢: ١٧١

٦٤- ظ: عباس محمود العقاد ، عبقرية الإمام علي : ١٣٥

٦٥- الأحزاب / ٢١

٦٦- سيد قطب، في ظلال القرآن:٤: ٣٤

٦٧- الشمس / ٩

٦٨- نزار عبد الغفار عبد المجيد ، الفضائل والأخلاق / ٣٨-٤٠

٦٩- الفرقان / ٦٣

٧٠-المائدة / ١٣

مصادر ومراجع البحث :

- **القرآن الكريم**

١- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ط ،دار الفكر، بيروت لبنان.

٢- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، دار الجيل، بيروت ، ١٩٧٥م.

٣- إبن منظور ، لسان العرب، دار صادر بيروت، (د. ت).

٤- ابن هشام ، السيرة النبوية، تح مصطفى السقا ، ليالي مصر، ١٩٥٢م.

٥- الألباني ، الأحاديث الصحيحة ،ط،جامعة الرياض، ١٩٨٢.

٦- البخاري ، عبد الله بن اسماعيل ، دار التربية ، بغداد ،(د.ت)

٧- الترمذي ، سنن الترمذي،تح عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ١٩٦٤م.

٨- حسين الشاكري، الأعلام من الصحابة والتابعين ،مطبعة ستارة ط٢، ١٤١٢هـ .

٩- د. عبد العزيز سالم ، تأريخ العرب،النهظة العربية ، بيروت لبنان ١٩٧١ .

١٠- د. يوسف عبد الهادي ، الإسلام وبناء المجتمع الفاضل ، دار المعرفة ، مصر، ١٩٦٩م.

١١- د.جواد علي ، المفضل في تأريخ العرب، دار العلم بيروت ،ط١،

١٢- الري شهري ، ميزان الحكمة،تح دار الحديث،ط١، ايران ، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.

١٣- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربية، بيروت.

١٤- السيد محسن الامين ، أعيان الشيعة ، تح ،محسن الأمين،ط دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان.

١٥- شاكر عبد الجبار، البناء القرآني للأخلاق ،مطبعة السعدون ، بغداد ، ١٩٨٦م.

١٦- شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٩٧.

١٧- الطبري ، تأريخ الطبري، تح، أبو الفضل ، دار المعارف ، ط٢، ١٩٦٣.

١٨- عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام علي(رض)، دار المعارف، ط٣، ١٩٨م.

١٩- عبد الرحمن حسن، الأخلق الإسلامية وأسسها الميداني، دار القلم دمشق ط ١٩٧٩.

٢٠- الغزالي ، إحياء علوم الدين، دار مصر للطباعة ، مصر١٩٩٨م.

٢١- الغزالي ، فقه السيرة، عالم المعرفة ، مصر (د.ت)

٢٢- الفيض الكاشاني(ت ١٠٩١هـ)، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، تح ،علي أكبر غفاري، ط٢ . دار إحياء التراث.

٢٣- محمد عزة دروزة ، الدستور القرآني ، مطبعة البابين الحلبي، مصر (د.ت)

٢٤- محمد مهدي النراقي (ت١٢٠٩هـ)، جامع السعادات،تح محمد رضا المظفر،دار النعمان ، النجف الأشرف.

٢٥- نزار عبد الجبار عبد المجيد ، الفضائل والأخلاق، ط٣، ١٩٩٩م.